من شدة الازيز ثم شعرنا بأيد قوية تحملنا وكنت أشعر بأني تعب جداً وأريد أن أقوم الى الابد وبناء عليه فقد وصلنا القطب وعدنا منه بسلام

(عن مجلة نيفا الروسية)

جمعية اتحاد الشبان المسيحية في القدس

ومحاضرة صاحب الاخاء

لجمعية اتحاد الشبان المسيحية فضل عظيم في الشرق وفي سائر أنحاء أوربا وأمريكا لما تقوم به من تقويم الاخلاق والدعوة الى التحلي بالفضائل وصرف الشبيبة عن اللهو واشغالها بالنافع المفيد ووقاية أفرادها من العثرات وتزويدهم بما يمهد لهم سبل الحياة المملوءة بالاشواك ولاسيما في المدن الكبيرة حيث تتوفر طرق الغواية وتنصب حبائل الفساد لاقتناص الشبان . والشاب اذا زلت قدمه دفعته الى الحضيض حيث يسقط ويكون سقوطه عظيما لاقيام له بعده

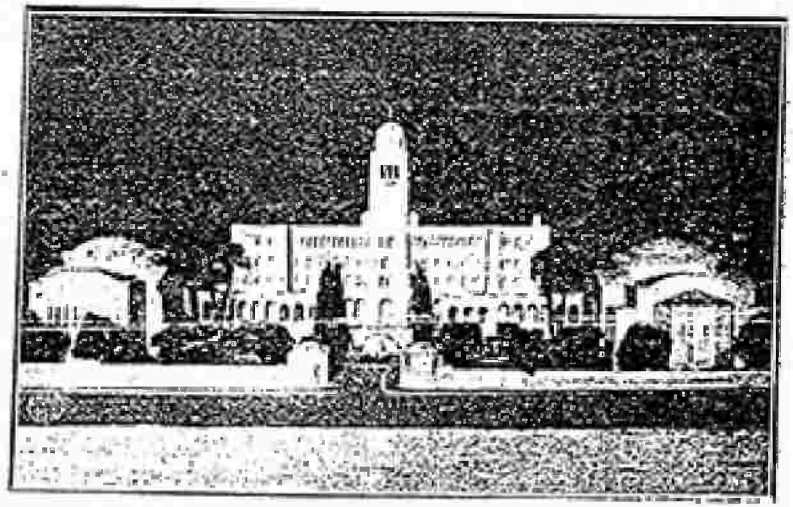

دار الجمعية التي شرعت في بنائها الآن بالقدس

وفرع هذه الجمعية في القدس يضم بين أفراده عدداً عديداً من الشبان الناهضين على مختلف الملل والنحل من مسيحيين ومسلمين واسرائيليين وقد اتخذ له للخطابة قاعة فسيحة شادها موقتاً من الخشب ووضع فيها المقاعد وأقام في صدرها مسرحاً للخطابة وإقامة الحفلات .

وقد رأت هذه الجمعية في القدس ان قاعتها هذه المذكورة لا تفي بالغاية المقصودة فعمدت الى بناء دار واسعة تتوفر فيها راحة الشبان ورياضتهم فابتاعت لهذه الغاية قطعة أرض فسيحة واستدرت أكف المحسنين والاجواد فانهالت عليها التبرعات من كل فج عميق حتى ان فرداً من اجواد الاميركان تبرع لها بخمسين ألف جنيه ووضعت للبناء رسما بديعاً وهو الذي يراه القارىء في صدر هذه المقالة وقدر المهندسون بأنه سيكلف مائة وعشرين الف جنيه تقريباً وسيحتوي هذا البناء على محل كبير للالعاب الرياضية وبركة ماء للسباحة وحمامات متنوعة وقاعة كبرى للخطابة وقاعة أخرى للمدرسة الليلية ومدرسة صناعية وقبة أجراس شاهقة وحديقة واسعة سيزرعون فيها جميع أنواع الاشجار الوارد ذكرها في التوراة وسيخصص جناح منها لنزول الزائرين الذين يتوافدون من سائر أنحاء الدنيا . وصفوة القول ان هذه الدار الغراء التي شرعوا في بنائها من منذ شهرين ستكون فريدة من نوعها

دعتنا هذه الجمعية الناهضة أثناء اصطيافنا في رام الله (احدى ضواحي القدس) إلى القاء محاضرة في قاعتها فلبينا الطلب بارتياح على عجزنا وضعفنا وحددت لذلك مساء الخميس الواقع في ٩ سبتمبر وقد اخترت موضوعا لمحاضرتي « فلسفة تولستوي ومبادئه » وفي الاجل المضروب امتلأت القاعة بالحاضرين من صفوة السيدات والافاضل وكان في مقدمة المدعوين سعادة الامير أمين ارسلان وحضرة كبير أدباء فلسطين بلا منازع اسعاف بك النشاشيبي وكثيرين من مديري المدارس ومفتشي المعارف وغيرهم وعند الساعة الثامنة والنصف تماماً وقف صاحب هذه المجلة وألقى محاضرته وقد طلب الينا كثيرون أن ننشرها في الاخاء لتعم فائدتها وها هي بنصها :

فلسفة تولستوي ومبادئه

يجود الزمان على الناس بين حين وآخر بنابغة من النوابغ ذي مدارك سامية

فيانة يفيض على الناس من بحر علمه ويكشف الغيبات ويزيل شكوك الاعتقادات ويقاوم السلطات المستبدة ويحاول رفع المظالم عن المظلومين وتحطيم نير الاستبداد وهو بين هذا وذاك يثير حركة اصلاحية في البلاد تعود على المجموع بالنفع العام والخير الوفير

وهكذا فقد قيض الله لروسيا في القرن التاسع عشر رجلا رفع رأسها وأعلى مكانتها العلمية وزاد فخرها ووطد مجدها وبث فيها روحاً جديدة لم تكن معروفة من ذي قبل ذلك هو الفيلسوف ليون تولستوي الذي أحدثكم عنه . ولد هذا الفيلسوف العظيم في ٢٨ أغسطس عام ١٨٢٨ في قرية ياسنايا بوليانا وفقد والديه قبل أن يبلغ العاشرة من عمره فلم يتمتع بعطفها وحنانها وعنايتها وقد قال عن والدته « لو رأيت في أشد أيام الضيق ابتسامتها لما عرفت ما هو الحزن ». وعام ١٨٣٧ توفي والده فعهد بتربية أولاده الى السيدة يوشكوفا التي نزحت بأسرة تولستوي الى مدينة كازان حيث عهدت تعليم الفيلسوف إلى مهذبات وأساتذة أجانب ثم أدخلته كلية كازان حيث انتظم في صف اللغات الشرقية ولكن دخوله فيها لم يكن عن استعداد كاف فلم يستفد منها كثيراً ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره غادرها دون أن يجني منها فائدة تذكر خصوصاً وان اكثر طلبتها من أبناء الأشراف الفاسدي السيرة المتعودين على البذخ والكسل ولذا لم تغرس المبادىء القويمة في نفسه في أيام صباه وقد قال عن ذلك فيما بعد ما يأتي: « نفسد أخلاق الشاب في المدرسة لان جميع أترابه فسدة الاخلاق يصحبونه معهم الى أندية الرجس فيفقد طهارته وعفته وهو لا يدري أن في فعله هذا ما يخالف الآداب والفضيلة . تفسد أخلاق الشاب من أول نشأته لأنه لا يسمع من مرشديه أن الفسوق محرم بل بالعكس يسمع أن صحة الجسم تستلزم بعض الشيء ... وجميع المحيطين به يقولون أن الوقاع شيء طبيعي مفيد للصحة وفكاهة الشباب الحلوة . لهذا كله لا يدرك الشاب أنه سائر في طريق الضلال بل يقطع الطريق الطبيعية التي يسير فيها كل صحبه وأفراد الوسط الذي يعيش فيه فيبدأ بالفحشاء كما يبدأ بشرب المسكر والتدخين

وبناء عليه فان الفيلسوف لم يحرز في صغره تهذيباً جيداً ولا تعلم العلوم اللازمة

لترقية عقله وتوسيع مداركه . ولكن نفسه الكبيرة كانت تطمح الى ارتقاء ذروة المجد فانكب على مطالعة كتب أشهر الفلاسفة وكان أحبها اليه كتب سبنسر وروسو وكانت وماركس

وعام ١٨٥١ زاره شقيقه الاكبر نقولا الذي كان ضابطاً في جيش القوقاس ومكث عنده مدة أجازته وبعد نهايتها صحبه معه إلى بلاد القوقاس الفيحاء وهناك أعجب كثيراً برفاه عيش الضباط فانتظم في سلك الخدمة العسكرية وعام ١٨٥٣ أي في بدء الحرب الشرقية العظمى نقل الفيلسوف إلى صفوف جنود الطونا حيث انضم الى فيلق القائد الشهير غورتشاكوف ثم ضم إلى حامية سيفاستوبل وشهد ضربها من الجنود المتحدة فأظهر بسالة فائقة الحد لانه كان لا يعبأ بالاهوال المحدقة به فيلقي نفسه في أشد المخاطر ويشجع اخوانه الجنود للدفاع عن الوطن. وفي خلال تلك الاحوال المضطربة أرسل معتمداً إلى القيصر نقولا حاملا اليه أوامر سرية هامة ولما انتهت تلك الحرب الفظيعة ورأى الفيلسوف عاقبتها الوخيمة وماجرته على البلاد من الشقاء والفناء استقال من الخدمة العسكرية ومن ذلك الحين . غدا يكره الحرب ويعتبرها جريمة يقترفها بنو البشر وصار يمقت بل يتحامل على كل دولة تفتح حربا

وعلى أثر اعتزاله خدمة الحكومة أقام عدة أعوام متنقلا بين موسكو وبطرسبرج وعام ١٨٦١ جال بعض أنحاء أوربا وعند عودته استوطن قرية باسنايا بوليانا وجرد نفسه لخدمة الشعب داعيا إلى حب السلام والخير والفضيلة فكان إذا وقع خلاف بين الفلاحين يحسمه بحكمته وآرائه الثاقبة ويعيد السلام اليهم وينقذ بمنعهم عن رفع قضاياهم إلى الحكومة التي هي بنظره تظلم الاهالي بأحكامها المجحفة بحقوقهم. ثم أنشأ الفيلسوف بهذه القرية مدرسة وطنية كان ينفق عليها من جيبه الخاص ويعلم بنفسه أبناء الفلاحين ويبث فيهم روحا جديدة فاشتهرت تلك المدرسة شهرة زائدة دوى صداها في جميع أنحاء روسيا فصار يتقاطر اليها كثيرون من شبان بطرسبرج المتخرجين في كلياتها ليلقوا العلوم فيها مجانا تحت مراقبة وارشاد الفيلسوف وانما كانوا يفعلون ذلك ليتمتعوا من معارفه وينغرفوا من بحار فلسفته ينبوعا صافياً خاليا من شوائب الاكدار وينضموا تحت لوائه ـ لواء العلم والفلسفة الحقيقية ، ثم أصدر مجلة تهذيبية

وشرع يكتب فيها المقالات الادبية والتهذيبية التي ترمي الى تقويم اخلاق الاهالي والاولاد ثم أخذ يدرب تلامذته وينشطهم على كتابة القصص الصغيرة

وفي عام ١٨٦٢ اقترن الفيلسوف بكريمة الدكتور بيرس صوفيا

أن الفيلسوف تولستوي يمتاز عن جميع كتاب الارض بأمر واحد هو وصف الاشخاص والاشياء والنفوس وصفاً يطابق حالتها تمام المطابقة فاذا وصف فلاحاً أو عجوزاً أو مغسولا رث الثياب أو ملكاً أو وزيراً أو قائداً أو أحداً من طبقة الاشراف أو العقائل فانه يأتي على وصف صفاتهم وحالتهم وافكارهم وسكناتهم وحركاتهم بما يخلب الالباب ويأخذ بمجامع القلوب فينخيل للقاريء أنه يرى الشخص أو الشيء الموصوف أمامه كما هو تماماً والقاريء يرى أنه يعرف تلك الاوصاف ويشاهدها كل يوم ولكنه لا يستطيع أن يجمعها كلها أو يوردها مترادفة كما يوردها الفيلسوف الذي هو بهذا المعنى كمصور بارع يصور الاشخاص تصويراً حقيقياً وانما تولستوي يزيد على ذلك تصويره حالة نفس الانسان الداخلية وشعوره وقد حصر صفات الانسان القبيحة بما يأتي .

عديم القلب . القساوة . الانانية . الكذب . قلة الادب . الاختلاق . البلادة العظمة . الكبرياء . وحصر صفاته الحسنة بما يأتي : البساطة : طهارة القلب . عدم الاعتماد على الغير . الشعور الراقي والوجدان الشريف . محبة الناس . التضحية . رقة الجانب . البشاشة . الرحمة .

أما المواضيع التي بحث فيها الفيلسوف في تآليفه فهي مختلفة المباني والمغازي ولكن يمكن حصرها في أربعة أقسام وهي :

(أولا) بحث بحثاً مفصلا دقيقاً في عيشة الطبقة العليا الروسية ولا سيما آداب الشبان الروسيين الاغنياء والاماكن التي يستهلكون الوقت بها ثم بحث في تبرج النساء وآدابهن الفاسدة وأوصافهن مع اباثهن وبناتهن

(ثانياً) صور بمهارة زائدة جميع أدوار الحياة وأفراحها وأتراحها وهو بنار غيرة شديدة على حفظ الرباط العائلي ورباط الزوجين طاهراً من الدنس بعيداً عن الفساد وكذلك دعا الناس الى تربية الاولاد التي ينبغي أن يشترك فيها الوالدان وتصح للامهات

أن يرتبطن بأولادهن ارتباطاً متيناً لا تحل عراه الليالي الراقصة والاجتماعات المتزلية والمقامرة حول الموائد الخضراء لان الرباط العائلي اذا كان مجرداً عن المحبة ومؤسساً على الظواهر الخارجية فانه يكون كالبيت المؤسس على الرمل يهدم بسرعة ويجر وراءه الويل والخراب .

(ثالثاً) أن تولستوي هو الوحيد بين الكتاب الروس الذي وصف فساد المعيشة الجندية من أعظم قائد الى أحقر جندي ووصف الحرب واضرارها وشرورها

(رابعاً) أن الفيلسوف أعدل كاتب روسي وصف حالة الفلاح الروسي المستعبد للاشراف استعباد الرقيق ويوصفه وقوة حجته افهم العالم أجمع بأن الفلاحين السذج الذين يعتبرهم العالم إلى اليوم شعباً خشناً متوحشا يظهرون في وقت الحرب معدن خير وشجاعة وشهامة وصبر وجلد ولذلك فانه لا يسوغ للمتدنين أن يحتقروا الشعب المتحلي بهذه الصفات

فلسفته وآدابه وآراؤه الدينية

اشتهر الفيلسوف تولستوي ببسط فلسفته في رواياته بتولها وهي تقسم الى ثلاثة أقسام : من حيث الدين ومن حيث الاجتماع : ومن حيث الفنون . أي الفلسفة الدينية والاجتماعية والفنية . على أنها كلها فروع شجرة واحدة مبنية على قاعدتين احبوا بعضكم بعضاً في جميع شؤونكم . والثانية : لا تقاوموا الشر بالشر فان الشر لا يقتله الا الخير

وقد أوصلته فلسفته الدينية الى النتيجة الآتية

أن التعاليم المسيحية التي تستحق أن تكون قاعدة للضمير البشري انما هي الاناجيل الاربعة فقط : متى ومرقص ولوقا ويوحنا وما عداها خارج عن الدين المسيحي الحقيقي . فعلى من أراد أن يكون مسيحياً حقيقياً أن لا يتمسك بشيء يناقضها وأن يعيش كما عاش المسيحيون الاولون من حيث البساطة والقناعة والاشتراك والحرية .

أما فلسفته الاجتماعية فهي هذه : يقولون أن الطبيعة الاجتماعية قاعدة رديئة . نعم ولكن الذنب ذنبنا والوزر علينا لأننا نتكاسل قسراً حالتنا . وتقاوم الشر

بالشر فيزيد الفساد فساداً ذاهلين عن قول المسيح : « من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ » فاذا لم نعوّد أنفسنا مقاومة الشر بالخير أي باللطف والمجاملة والاحسان والمحبة فاننا لا نتغلب على الشر في العالم ويزداد الانسانية فساداً على فساد . فاذا كنا نطلب اصلاح الهيئة الاجتماعية فلنعمل أولا على اصلاح أنفسنا بغرس المحبة والمسالمة والاعتدال وحب العمل في قلوبنا فان في ذلك اصلاح الهيئة الاجتماعية .

وأما فلسفته الفنية . فمقتضاها أن كل فن وعلم وصناعة يجب أن تكون غايتها نبيلة وهي: ترقية شأن البشر وراحة النوع الانساني والمساعدة على رفع راية السلام في العالم أجمع . واذا خرجت العلوم عن دائرة هذا الغرض وانصرفت الى اختراع آلات الحرب والدمار وأسباب القصف والخلاعة واللهو فانها تسبب الفساد وتجلب الشقاء والضرر والعناء وتصبح عبثا في عبث (البقية في العدد القادم)

في بلاد الآلهة

من البلاد القصية التي يهتم بها الباحثون والمكتشفون الأوروبيون بلاد النيبت التي يسميها أهلها « بلاد الآلهة » وهذه البلاد مقفولة في وجوه الاجانب . ويبلغ عدد اللامات فيها (الرهبان البوذيون) خمس عدد جميع السكان ولهم في البلاد سلطة واسعة النفوذ ولا سيما في حراسة الأماكن المقدسة وكل أجنبي يخاطر بنفسه ويدخل تلك البلاد يعرض نفسه لخطر الموت المحقق

الدكتور هوفين

ولم يجسر أحد حتى اليوم من السفر الى تلك البلاد سوى سيدة فرنسية تدعى نيل وقد حملها حب العلم والاستقراء الى السفر لبلاد النيبت وحدها دون دليل أو مرشد وأقامت فيها مدة ثلاث عشرة سنة متخفية تارة بشكل فقير تارة بشكل أمير ذات أحوال عالية وطوراً بشكل راهبة وقد جمعت في رحلتها كثيرا من الرسوم الشمسية لآثار تلك